Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالفكرة على حساب صيغ التعبير عنها ، أو لجهة التركيز على بنية التعبير على حساب الفكرة . أمّا جبران فيرى أنَّ الإنسان ، عندما يقبل شكل التعبير عند إنسان ما ، فهو يقبل كذلك ، فكر هذا الإنسان[٥٠] ، وذلك باعتبار أنَّ الفكر والمضمون بنية واحدة غير قابلة للفصل . وهنا يُظْهِرُ جبران وعياً حاداً لمشكلة التوصيل . فالفكر الجديد ، الفكر الاكتشافي ، الذي يُطَالبُ بتحقيقه ، لا بدّ وأن تنتج عن وجوده ، ووفق منطوق آراء جبران ، لغة جديدة . الفكر اللاسلفي هذا ، لا بدّ له من لغة لاسلفيَّة . وإذا ما كانت اللغة ، بحكم الجوانب السلفية في وجودها ، فعل اشتراك وتوصيل بين الناس ، فإن غربة ستقع بين الشاعر / الكاتب وبين القارىء . لذا ، فإن جبران يميل ، في هذا المجال ، إلى تفضيل رفع القارىء لقدراته ؛ فيطلب أن يكون فعل القراءة ، كما فعل الكتابة ، اكتشافياً .

إن جبران يصف العملية الأدبية ، في هذا السياق ، باعتبارها نوعاً من علاقة حب بين الفنان والقارىء ؛ علاقة يسعى فيها ، كل من طرفه ، إلى لقاء الآخر . ولذا ، فعلى القارىء أن يعمل بمحبة على اكتشاف هذه الكتابة[٥١] . وكأن جبران ، في هذا المجال ، يدعو إلى الانتقال من رتبة الكتابة / القراءة التلقي ، بما فيها من أبعاد سلبية ، إلى رتبة الكتابة / القراءة المعاناة ، بما فيها من إيجابية . ومن هنا يضحي الإبداع ضرورة للفعل الأدبي على مستوى « العطاء » وعلى مستوى « التلقي » . والفعل الاستكشافي إن لم يكن ، بحد ذاته ، إبداعاً ، فإنَّ التصوّر اللاسلفي للفعل الأدبي الذي يسعى إليه جبران يتوقّف حتماً .

إنَّ مثل هذه الآراء ، لجبران ، وإن صدرت عن الرجل في مطالع القرن العشرين ، وإن كانت تمثّلُ ما يُشْبِهُ الطفرة في مسار النغم الفكري الأدبي عهد ذاك ، فهي قد وجدت « قراراً » لها في تكوّن الفكر الأدبي العربي بعد ذلك . إنَّ نظرةً سريعة إلى كتابات النقد الأدبي المعاصر ، على سبيل المثال ، تؤكّد إيجابيَّة فعل التغيير الذي كان جبران يرنو إليه قبل عقود كثيرة من الزمن .